Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

" كيف نحقق الثقافة بصورة عملية "

Comment pouvons-nous atteindre la culture dans le processus ?

د. بوعزة عبد القادر
جامعة وهران–الجزائر
abdelkaderbou@yahoo.fr

Abstract: *The problem of culture is not limited to defining its concept, but also lies in the possible way to achieve it in a practical way in our moral and material life. Moreover, the purpose of raising the problem of affliction in this article is to draw attention on the fact that culture includes in its concept, in addition to ideas, the way of life in a particular society on the one hand, and the social behavior that characterizes the actions of the individual on the other hand. The goal of both previous warnings is how the elements of culture become: - Ethics, beauty, practical logic, applied art - Natural elements and phenomena become a positively influential reality in the world of people, the world of ideas and the world of things.*
Keywords: *Culture issue, ideas world, natural phenomena, practical logic.*

الملخص: لا تنحصر مشكلة الثقافة لا تنحصر في تحديد مفهومها وإنما تكمن أيضا في الكيفية التي الممكنة من تحقيقها بصورة عملية في حياتنا المعنوية والمادية. ثم إن الغرض من إثارة مشكلة القافة في هذه المقالة هو التنبيه إلى أن الثقافة تضم في مفهومها إلى جانب الأفكار أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، والسلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد. ويكون الهدف من كلا التنبيهين السابقين، هو كيف تصبح عناصر الثقافة: - الأخلاق، الجمال، المنطق العملي، الفن التطبيقي- العناصر والظواهر الطبيعية حقيقة مؤثرة تأثيرا إيجابيا في عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء.
الكلمات المفتاحية: مشكلة الثقافة، المنطق العملي، عالم الأفكار، الظواهر الطبيعية.

قد تبين لنا من خلال الأمثلة الواقعية، أن مشكلتنا الثقافية **problème culturel** ليست منحصرة في تحديد مفهومها **concept** وإنما هي أيضا في الكيفية التي تمكننا من تحقيقها بصورة عملية في حياتنا المعنوية والمادية.

Et il est aussi dans la façon dont nous pouvons les réaliser de manière pratique dans notre matériel et moral.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الإجابة على السؤال الذي افتتحنا به هذه المقالة، لا يتضمن تعريف الثقافة أو تحديد مفهومها أو حصر العناصر المندرجة تحته.

Elle ne figure pas dans la définition de la notion de culture ou d'identifier ou articles d'inventaire relevant

ومع إدراكنا لأهمية التعريف وتحديد المفهوم، وحصر المبادئ والعناصر والظواهر الطبيعية ذات العلاقة بمشكلة الثقافة، فإن كل هذا «لا يعطي أي فكرة عن تطبيقها »[1].

ثم إن الغرض من إثارة مشكلة الثقافةle but de provoquer un problème de culture في هذه المقالة ليس هو التنبيه إلى أهمية الأفكار أو إلى خطورتها فحسب، وإن كان هذا يعد أمرا ضروريا في عالمنا العربي والإسلامي، إذ يبدو أنّنا لم ندرك بعد أهمية الأفكار بالنسبة لحياتنا الداخلية ولعلاقتنا الخارجية أو خطورتها على ضرورات الداخل والخارج[2].

Comme il semble que nous ne savions pas encore l'importance des idées pour notre vie intérieure et notre relation avec l'extérieur

[1] مالك بن نبي، تأملات، ص 147.

[2] أنظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 13-16. وانظر الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، موضوع: تركيب آخر لمرآة الكف، ص 61-93 وموضوع: حياة الأفكار وقيمتها الرياضية، ص 117-124. وانظر فكرة كمنويلث، إسلامي، ص 54-58، وفيما يتعلق بمشكلة الأفكار ورد في كتاب مشكلة الثقافة: « أن أهمية الأفكار في حياة مجتمع معيّن تتجلى في صورتين: فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرّضة تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا، وهناك فضلا عن ذلك جانب آخر لأهمية الأفكار في العالم الحديث... هو أنّه قد أعلى من الفكرة باعتبارها قيمة قومية ودولية، هذا التطوّر لم تشعر به كثيرا البلدان المتخلفة؛ لأن عقدة تخلّفها ذاتها قد نصبت في طريقها ضربا من الغرام السّقيم بمقاييس القوّة، أي بالمقاييس القائمة على " الأشياء "، فالرجل الذي يعيش في بلد متخلف يلاحظ دون ريب تخلّفه بالنسبة للرجل الذي يعيش في بلد متقدّم، وهو يلاحظ شيئا فشيئا أنّ الذي يفصل ما بين الشعوب ليس هو المسافات الجغرافية وإنّما هي مسافات ذات طبيعة أخرى. والمسلم بسبب عقدة تخلّفه يردّ هذه المسافة إلى " نطاق الأشياء " أو هو بتعبير آخر يرى أنّ تخلّفه متمثل في نقص ما لديه من مدافع وطائرات ومصارف، وبذلك يفقد مركّب النقص لديه فعاليته الاجتماعية، إذ ينتهي من الوجهة الاجتماعية إلى... التكديس. فلكي يصبح مركّب النقص لديه فعّالا مؤثرا ينبغي أن يردّ المسلم تخلّفه إلى مستوى الأفكار لا إلى مستوى " الأشياء ". فإنّ تطوّر العالم الجديد دائما يتركّز اعتماده على المقاييس الفكرية...»، ص 34، 15. كما يرى = عبد الكريم بكّار: «أنّ علينا أن نصرّ على النجاح في عالم الأفكار لأنّ كلّ ما نملكه من ثروات وأموال وأسلحة... سوف يكون محدود الفائدة إذا نحن لم نربح معركة الأفكار، وإذا لم نستطع أن نقدّم الأفكار التي تصلح شأننا الحضاري»، من أجل انطلاقة حضارية جديدة، ص 63.

وإنما الغرض هو التنبيه إلى أن «الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب وإنما تضم أشياء أعم من ذلك كثيرا تخص... أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى[3]».

Culture qui ne comprend pas le concept d'idées, mais comprend également des choses beaucoup plus générales que spécifique à ... Mode de vie dans une communauté donnée, d'une part, comme appartenant à un comportement social qui caractérise les actions de l'individu dans la société, d'autre part ».

ولشمولية مفهوم الثقافة يكون الهدف من كلا التنبيهين السابقين، هو كيف تصبح عناصر الثقافة: - الأخلاق، الجمال، المنطق العملي، الفن التطبيقي-

la moralité , la beauté , la logique métier , l'art appliqué وما يقدمه عالمَ العناصر والظواهر الطبيعية وما يزخر به من ألوان وأصوات وروائح وحركات وأضواء وظلال،كيف يصبح كلّ ذلك كلا مركبا أو حقيقة مؤثرة تأثيرا إيجابيا في الثالوث الاجتماعي المتمثل في عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء[4]et avec toutes ses couleurs et les sons et les *odeurs, les mouvements et les lumières et les ombres , la façon de devenir à la fois le composé ou le fait que l'impact positif de la Trinité dans l'objectif social d'un monde de personnes et le monde des choses*

وبتعبير آخر كيف نصوغ العناصر الثقافية وعالم العناصر والظواهر الطبيعية في مشروع ثقافي يصلح لأن يكون «وسيلة فعالة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغيّر شرائط الوجود نحو الأحسن دائما. وكيف يكوّن معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدّيَ نشاطه المشترك في التاريخ [5]».

وهذا يقتضي من نخب المجتمع الإسلامي أولا ومن الفاعلين في المؤسسات المختلفة ثانيا، بذل أقصى الجهد وتسخير جميع الإمكانات والوسائل بعد التوصل إلى الصيغ الفنية الكفيلة بتطبيق ما يتضمنه مفهوم ثقافة إسلامية، بغية تجاوز عقبة العيوب الثقافية التي تحول

[3] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 13.

[4] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 99-101.

[5] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 100.

بيننا وبين التقدم الحضاري[6]. *Cela nécessite la coqueluche de la communauté musulmane d'abord et acteurs dans diverses institutions Deuxièmement, tout mettre en œuvre et exploiter tout le potentiel et les moyens, après avoir atteint des formules techniques pour appliquer le concept de ce qui est dans la culture islamique*

لأن هذه العيوب هي التي قلّصت مفهوم الثقافة في عالمنا الإسلامي، وجعلته لا يتجاوز نظريا وتطبيقيا، كيف «نعلّم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة [7]»[i]. **Nous savons que les gens disent ou écrivent de belles choses** » وليس أن نعلمهم بالإضافة إلى ذلك كيف يتحضّرون. وبهذه الكيفية صار مفهوم «التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع» [أو] «على عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء[8] ».

ولئن كان نضج الفرد والمجتمع يتوقف على مضمون التربية الاجتماعية والتعليم وهو المضمون الذي يندرج في مفهوم الثقافة، فإن فاعلية هذا المضمون تتطلب في نظر مالك بن نبي أمرين ينبغي القيام بهما:

الأمر الأول: «يجب...تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي ممّا فيه من عوامل قتّالة ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجوّ للعوامل الحيّة والداعية إلى الحياة [9]»

وأما **الأمر الثاني**: ينبغي تنظيم مبادئ وعناصر الثقافة في وحدة متجانسة[10] *fixe les principes et les éléments de la culture dans une unité homogène et sans faire ces deux* choses ودون القيام بهذين الأمرين، فلن تستطيع التربية الاجتماعية والتعليم المساهمة في تحقيق مبادئ وعناصر الثقافة بمفهومها العملي، الذي « يخلع على (التربية الاجتماعية)، المضمون الضروري، الذي يتيح لها الاضطلاع بوظيفتها المغيِّرة[11] »[ii]، لما بنفس الإنسان الأفرسيوي من سلبيات كالوهن والاستسلام والكسل والإهمال والرعونة[12]...الخ

[6] أنظر مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، موضوع: فوضى العالم الإسلامي الحديث، ص 75-118.

[7] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 99.

[8] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 99.

[9] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 86.

[10] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 62.

[11] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 100.

[12] أنظر عبد الكريم بكّار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، ص 23-25، ص 61-78.

وهذه الصفات السلبية هي في حقيقتها معادلة اجتماعية مكتسبة، أي قيمة ثقافية سلبية، ترسّخت في الجانب النفسي وفي الجانب الاجتماعي[13] وعملية تغيير هذه المعادلة الاجتماعية التي تمس الفرد والمجتمع تتطلب تفكيرا موسّعا وعملا مشتركا، *Ces qualités négatives sont , en fait, l'équation de social acquis , la valeur culturelle négative , établie à l'aspect psychologique dans l'aspect social , et le processus de changement de cette équation sociale qui affectent l'individu et de la société exige une réflexion élargie et l'action commune*

لا يراه مالك بن نبي يتحقق إلا في عقد مؤتمر إسلامي يضع « في جدوله هذا الواقع الجوهري، وهو أنّ العالم الإسلامي يعيش في غير تاريخه، دون خطة في عالم حديث مخطط. وفي عالم التخطيط والخطط[14] » calendrier dans ce fait essentiel est que le monde islamique vit dans l'histoire , sans un plan dans le monde du régime moderne . Dans le monde de la planification, des plans ».

هذا بالإضافة إلى ما تتطلبه من هذا المؤتمر عملية تنظيم مبادئ وعناصر الثقافة في وحدة عضوية صالحة للتحقيق في الحياة العملية من تفكير ومناقشة للأفكار التي تمكّن من «وضع خطة تربوية صالحة لتحقيق هذه الوحدة [إذ] بذلك نكون قد تصورنا منهج تحقيق مشروعنا بصورة فنية[15] ».

ومنها أنه يجب عليه استغلال وتوظيف كل الوسائل المتاحة لربط الفرد والمجتمع بالمبادئ والعناصر الثقافية، لأن القيمة الثقافية للفكرة أو الشيء أو المبادئ والعناصر والظواهر الطبيعية لا تتحقق إلا بمدى قدرة هذا المؤتمر الذي يضع الخطة التربوية على عقد صلة بينها وبين الفرد[16]. « *un plan d'éducation valable pour réaliser cette unité [comme] Nous avons donc notre approche de perception pour réaliser notre projet professionnel* » .

وعقد صلة بين الفرد وبين المبادئ والعناصر والظواهر الطبيعية التي يتركب منها مفهوم [ثقافة] Ceux qui devraient être exploitées et utilisent tous les moyens disponibles pour connecter la personne et les principes de la société et des éléments culturels يستدعي من المؤتمر الإسلامي أو ممن يتصدى في العالم الإسلامي لمعالجة مشكلة تحقيق ثقافة نهضة حضارية أن يُدرج في الخطة التربوية، كل ما من شأنه أن يبثّ في نفس الفرد وفي

[13] أنظر مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص 144، 242، 245، 261، 262.

[14] المصدر نفسه، ص 257.

[15] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 62.

[16] أنظر مالك بن بني، المصدر نفسه، ص 62.

روح المجتمع، الاهتمام الأسمى بكل ما ينضوي تحت مفهوم [ثقافة][17] ذلك، لأن « القيمة الثقافية لهذه العوامل المختلفة تخضع دائما لصلتنا الشخصية بها، فتفاحة "نيوتن" لم تتحول اعتباطا إلى نظرية في الجاذبية الأرضية. ونافورات الماء في قصر (الإست) لم تكن لتلهم "ليتز" أروع وأجمل مقطوعاته الموسيقية لو لم تكن له بهذه العناصر صلة شخصية استثنائية[18] ». *Valeur culturelle de ces différents facteurs sont toujours soumis à des personnels que nous les avons reçus, la pomme de " Newton " ne s'est pas avéré au hasard à la théorie de la gravité. Les fontaines d'eau au Palais (anus) n'étaient pas d'inspirer " Litz " les plus beaux et les plus beaux chœurs de musique si ce n'était pas* son lien personnel à des éléments exceptionnels « فالاهتمام الأسمى بكل ما يحيط بالشخص هو الذي يعقد ويوثق الصلة بيه وبين عالم الأشخاص وعالم الأفكاروعالم الأشياء و« بدونه يتجمد (عالم الأفكار) و(عالم الأشياء) حتى كأنه قطع من الآثار في متحف. فيفقد كل فاعلية اجتماعية حقّة[19]».

ولئن كانت الحضارة الإسلامية، قد هيّأت الأرضية المعنوية والمادية التي تنمو فيها جميع الأجِنّة الإسلامية ذات الصلة بالبناء الحضاري، فإن فقدان إنسان ما بعد الموحدين للاهتمام الأسمى بهذه الأرضية وبكل ما يحيط به هو الذي جمّد المحصول الذي تركته أجيال الشهود الحضاري في العالم الإسلامي[20]. *Bien que la civilisation islamique, ont préparé le terrain de la morale et matérielle qui poussent où tous les embryons construction islamique pertinente de la civilisation*

ومن أجل بعث جديد لعناصر الثقافة وعناصر الحضارة، فإن العمل على إعادة بث الاهتمام الأسمى في نفسية الفرد وفي روح المجتمع يعتبر شرطا ضروريا لتحقيق عملية التثقيف، يجدر بواضعي مشروع ثقافي تثقيفي، عدم إغفاله.

---

[17] أنظر مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 65-89. وانظر عبد الكريم بكار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، ص 115-120.

[18] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 62.

[19] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 48.

[20]أنظر مالك بن نبي، شروط النهضة، عنصر التراب، ص 139 وما بعدها. عنصر الوقت، ص 145 وما بعدها.

وإذا كانت عملية إعادة بث الاهتمام الأسمى في نفسية الفرد وفي روح المجتمع بكل ما يتضمنه المحيط الثقافي عامة وبعناصر الحضارة خاصة، تعد من الشروط الضرورية التي لا ينبغي إغفالها عند وضع مشروع ثقافي، *Si le processus d'attention rediffusion suprême dans la psyché de l'individu et dans l'esprit de communauté de tout ce qui est dans le milieu culturel en général et les éléments de la civilisation en particulier , est l'une des conditions nécessaires qui ne devrait pas être négligée lors de l'élaboration d'un projet culturel*فإن عملية إعادة توثيق الصلة وإحكام التأليف بين سائر الأجزاء التي يتكون منها عالم الأشخاص تعد هي الأخرى شرطا جوهريا لوحدة الصف، الذي لا يمكن بدونه تجاوز الظرف الصعب وإعادة تركيب عناصر الحضارة الإسلامية[21]. - *le processus de re , documenter pertinente et resserrent création entre autres pièces qui composent le monde les autres personnes est une condition essentielle pour l'unité, qui ne peut être dépassé sans situation difficile et la réinstallation des éléments de la civilisation islamique*

ولقد ظلت الأحداث المتعاقبة في البلدان العربية والإسلامية منذ ما يزيد على ستين سنة تبرهن على أن « عالم الأشخاص لا يمكن أن يكون ذا نشاط اجتماعي فعّال إلا إذا نُظِّم وتحوّل إلى (تركيب)[22] ». لقد كان العالم الإسلامي «أقرب إلى الحل الرشيد لمشكلته وهو مُستَعمَر، لأن وحدته الروحية أو الإيديولوجية كانت أمتن منها اليوم. فهو الآن، وهو مستقل كأنما يبتعد عن هدفه لأن وحدته هذه قد تصدّعت من عملية التقسيم التي أجريت عليه[23] ». *c'était le monde « musulman proche de la solution rationnelle au problème d'un colonisateur, parce que l'unité de spirituel ou idéologique été aussi forte* qu'aujourd'hui وكل محاولة لتنظيم عالم الأشخاص وتركيب أجزائه تركيبا معنويا وماديا، لا يكتسب لها النجاح إذا تمت بمعزل عن " الأخلاق " أو عن " الفلسفة الأخلاقية[24] "؛ فالأخلاق في مشروع مالك بن نبي الثقافي « أُولى المقومات في الخطة التربوية لأية ثقافة[25]». بل إن عملية تحقيق ثقافة بناء الأشخاص وتركيبهم وتوجيههم لتشييد الصرح الحضاري، لا

[21] أنظر مالك بني، مشكلة الثقافة، ص 62، 63. وانظر القضايا الكبرى، موضوع: المفهومية، ص 91-139.

[22] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 64.

[23] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 177.

[24] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 63.

[25] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 63.

يمكن أن تنطلق وتخرج من حيّز القوة إلى حيز الوجود ما لم تكن الأخلاق الإسلامية هي الدافع أو الحافز إليها والموجّه لعمل الأشخاص والمؤسسات في مجتمعاتنا الإسلامية[26].

ولما كانت الفلسفة الأخلاقية عند مالك بن نبي هي أُولى المقومات في الخطة التربوية بوجه خاص، وفي المشروع الثقافي بوجه عام، فإنه لا مجال لأن نتصوّر أنّ عملية بث الاهتمام في الإنسان بالعالم المحيط به، كافية وحدها لتحقيق الثقافة القادرة على النهوض بالشخص والمجتمع نهضة قوية شاملة[27]. بل يتعيّن لكي تؤدي العلاقة العضوية-التي تنشئها عملية بث الاهتمام بين العوالم الثلاثة-مفعولها الاجتماعي، أن يتضمن المشروع الثقافي عنصر الأخلاق[28].

وهذا لأن وظيفتها في المجتمعات العربية والإسلامية ليست مقصورة على إنشاء الصلات وتوثيقها بين الأفراد والجماعات والمجتمع والكيانات التي يتركب منها العالم الإسلامي[29]، بل إن وظيفتها تتجاوز ذلك إلى تقديم المسوّغات والمبرّرات التي تدفع الى التضحية بالنفس والمال والزوجة والأولاد، فالذين استشهدوا أثناء الثورة التحريرية في الجزائر أو الذين لازالوا أحياء يرزقون[30]لم يكن وراء إقدامهم على الانخراط في ثورة التحرير سوى طلب الشهادة في سبيل الله: بل « لقد كان الإسلام الحصن الذي فشلت تحت أسواره جميع المحاولات التي استهدفت سلب الشعب الجزائري شخصيته على مدى قرن من الزمان، كما كان الحافز الإيديولوجي الرئيسي الذي دعم جهده البطولي خلال الثورة[31]». بل كان الحصن الذي فشلت تحت أسواره

[26]أنظر مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 55، 56. وانظر نور الدين مسعودان، مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع...، ص 21.

[27] أنظر عبد الكريم بكار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة...، ص 149-168. وانظر له مدخل إلى التنمية المتكاملة، رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1999، ص 22-30، 52-60، 157-162.

[28] نظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 65. فـ «الأخلاق هي التركيب التربوي لكل هذه العناصر». وانظر محمد سعيد رمضان البوطي، باطن الإثم الخطر الأكبر في حياة المسلمين، دار البعث، الجزائر، قسنطينة، طبعة 1987، ص 69 وما بعدها.

[29] أنظر مالك بن نبي، فكرة كمنويلث الإسلامي، ترجمة: الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1960، موضوع: مشروع دراسة مكتملة، ص 39-48.

[30] أنظر مالك بن نبي، القضايا الكبرى، موضوع: مشكلة المفهومية، ص 91-129، هذا الموضوع جدير بالقراءة لأنه يتضمن أفكارا عميقة يصعب تلخيصها. وانظر كتاب قديم عند الأستاذ

[31] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، ص 86. وانظر علي عزّت بيجوفيتش، الإعلان الإسلامي، ص 45-47.

جميع المحاولات التي استهدفت العالم الإسلامي من التتار والمفعول إلى الاستعمار الحديث الذي غيّر استراتيجيته. L'islam est le fort, qui a échoué sous les murs toutes les tentatives visant à piller le peuple algérien de sa personnalité plus d'un siècle, comme ce fut le catalyseur idéologique principale soutenir son héroïque pendant la révolution ». C'était un fort qui a échoué sous les murs de toutes les tentatives qui visaient le monde islamique et l'effet des Tatars au néo -colonialisme, qui est sa stratégie.

وعلى الرغم من أن مالك بن نبي يرى أنه «لكي نستحدث تركيب العناصر الثقافية ينبغي... أن نوثق الصلة الضرورية بين الفرد وبين[32]... » كل ما يحتويه مفهوم (ثقافة) إلا أنه ظل في جل كتبه يؤكد على أنّ الفاعلية الاجتماعية لتركيب عناصر الثقافة، تبقى مرهونة ابتداء بمدى قدرة المشروع الثقافي على تحقيق هذا التركيب في عالم الأشخاص خاصة في ظل التجزئة التي أجريت عليه من قبل الاستعمار الخفي[33].

وذلك لأنه إذا كان لب ما نسعى إليه من تحقيق الثقافة هو «خلق جو اجتماعي تنمو وتتحرك فيه كل الطاقات الاجتماعية في عمل مشترك[34]» في البلد الواحد وبين جميع البلاد العربية والإسلامية، فإن الفلسفة الأخلاقية المستمدة من الإسلام هي السبيل إلى خلق هذا الجو وهي الكفيلة بتقديم ضمانات تحقيقه[35] وتأسيسا على ما سلف، فإنه لكي يؤدي التركيب العام لعناصر الثقافة ضمن الخطة العامة للمشروع الثقافي النهضوي، وظيفته الاجتماعية بفاعلية قوية. la philosophie morale dérivée de l'islam est la façon de créer une atmosphère qui est capable de fournir garanties pour atteindre la base de ce qui précède, il est pour conduire la structure globale des éléments de la culture dans le plan d'ensemble du projet de renaissance culturelle , et sa fonction sociale efficace forte كما يؤدي (الدم) أثناء دورته الكاملة في الجسم الحي، وظيفته الحيوية، ينبغي أن تكون القيم الأخلاقية

[32] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 62.

[33] أنظر مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 62. وانظر القضايا الكبرى، ص 196-198. وانظر ميلاد مجتمع، موضوع: شبكة العلاقات الاجتماعية والاستعمار، ص 82-93.

[34] مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص 82.

[35] أنظر مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، موضوع: دفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعية، 94-101.

المدرجة في الخطة التربوية، مستوحاة من المبادئ الأخلاقية العامة للفكرة الإسلامية[36]، إذ بقدر ما تكون القيم الأخلاقية المدرجة في الخطة التربوية نابعة من الفكرة الإسلامية، بقدر ما تكون أكثر تأثيرا على وجدان الإنسان مسلما كان أو مسيحيا، وأقدر على التأليف بينه وبين الجماعات التي يتركب منها عالم الأشخاص، وأقوى عامل للدفع به للقيام بالواجب الذي يؤهله للعودة إلى الحضارة وأنجع مسوّغ له للانخراط في العمل المشترك وأكبر طاقة روحية تدفعه لبذل أقصى الجهد في العمل لتذليل عقبات البناء الحضاري ومواجهة صعوباته المعنوية والمادية ومغالبتها[37].

فمنذ فجر الحضارة الإسلامية لم يكن الإنسان المسلم في كل المنعطفات التاريخية التي عرفتها الأمة الإسلامية، أسرع استجابة، وأكثر تأثرا وأطوع انقيادا إلا لأحكام الترغيب والترهيب المستمدّتين من الفكرة الإسلامية: كتابا وسنة[38]. *Historiques connus de la nation islamique, une réponse plus rapide, et Ankieda plus touchées et à gérer l'exception des dispositions de la carotte et du bâton Almstmedin de l'idée islamique : un livre et un an.*

ولما كانت أحكام هذين المصدرين: العقدية والخلقية بوجه خاص والتشريعية بوجه عام قد أثبتت فاعليتها في المنعطفات الحاسمة في تاريخ المسلمين، فإنه لا مناص للعالم

[36] أنظر عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، موضوع: تنمية المعرفة ضرورة حيوية، ص 115-122.

[37] إنّ الإرادة الحضارية التي خلقتها الفكرة الإسلامية في الإنسان العربي البدوي هي التي جعلته لا يزهد في قيمة ما كان تحت تصرّفه كي يستخدمه في انتظار اكتمال إمكانه الحضاري، أنظر مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص 59-64. وانظر تأملات، ص 33 وما بعدها. وشروط النهضة، ص 68 وما بعدها.

[38] أنظر مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، موضوع: القيمة الاجتماعية لأفكار القرآن، ص 197 وما بعدها، إذ يرى –من خلال مقارنة أجراها بين فاعلية التشريع الإسلامي المتدرّج في معالجة مشكلة الخمر، وبين التشريع الأمريكي لمعالجة نفس المشكلة- أنّه «في ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم أفكار الإنسان وحضارته كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطوّرها، والدين على هذا يبدو وكأنّه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام الموحِّد إلى أحطّ الوثنيات البدائية، حول مركز واحد يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار... إلى الأبد». وانظر عزّت علي بيجوفيتش، مقدمة الكتاب (الإعلان الإسلامي)، ص 45 وما بعدها.

العربي والإسلامي من العودة إلى أصول التربية الإسلامية ليجعل منها منطلقة الأساسي لتحقيق ثقافة نهضة شاملة[39].

وهذه العودة يفرضها عليه وضعه الراهن، فهو من المحيط إلى الخليج يعاني احتقانا داخليا وتربصا خارجيا، وليس له من سبيل لتهدئة أوضاعه الداخلية والتصدي للمناورات الخارجية سوى العودة إلى الإسلام وتجديد صلته بالله لأن « حماسة المسلم في التعامل مع كل أنواع البناء الحضاري ستظل مرتهنة بشيء واحد، هو صلته بالله-جلا وعلا- فإذا فترت تلك الصلة، وضعف الإحساس بعالم الآخرة، فإن الوعي المسلم يصاب بالارتباك...»[40] *Un tel retour imposé par son actuel, il est de l'océan Atlantique au Golfe souffrent de congestion interne et Terbsa l'extérieur, et n'a aucun moyen de calmer la situation interne et à répondre aux manœuvres de l'État , mais de revenir à l'islam et à renouveler ce qui a trait à Dieu,*

وتجديد صلة المسلم بخالقه، والارتقاء بعلاقاته الروحية التي توثّق هذه الصلة وتقوّيها، والإخلاص له في القول والفعل، كل ذلك يعتبر في مفهوم مالك بن نبي للتربية الاجتماعية[41]، من المسائل الجوهرية التي ينبغي التركيز عليها في عملية إعادة تثقيف الإنسان المسلم طبقا لما تتضمنه الفكرة الإسلامية من مبادئ وقيم وتعاليم خلقية تساعد على ذلك. وأي محاولة تبتغي تركيب عناصر الثقافة تمهيدا لتحقيقها في تركيب عناصر الحضارة إن أدارت ظهرها لهذه المسائل الجوهرية أو أعطتها قليلا من اهتمامها أو إن لم تعرف كيفيات تجديد هذه الصلة وكيفيات الارتقاء بالعلاقات الروحية التي تقويها، فإنّ مآلها الفشل[42].

ولقد تحدث مالك بن نبي كثيرا عن ضرورة تجديد الصلة بالله، وعن ضرورات معرفة فنيات كيفية تجديدها، فهي في مشروعه الحضاري من أهم القضايا التي يتعين الإلتفات إليها عندما

---

[39] لأنّ النهضة والبناء الحضارية يتوقّفان على التأليف بين عالم الأشخاص والتأليف بين عالم الأشخاص أمر إلاهي خاطب به رسوله بقوله: ﴿وألّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم﴾ الأنفال، الآية 63، وهو أمر يتمّ متى صدقت النوايا. وهو السبيل إلى النفير النهضوي والبناء الحضاري المتمثّلين في تركيب عناصر الحضارة: الإنسان- التراب- الوقت.

[40] عبد الكريم بكّار، مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص 54.

[41] أنظر مالك بني، وجهة العالم الإسلامي، موضوع: حركة الإصلاح، ص 41-56. وشروط النهضة، موضوع: إمكانية تطبيق المبدأ القرآني الآن، ص 65، 66. وفكرة كمنويلث إسلامي، موضوع: وظيفة كمنويلث إسلامي، ص 65-75.

[42] أنظر مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، موضوع: الشروط الأولية للتربية الاجتماعية، ص 102-115.

نشرع في معالجة مشكلة تحقيق ثقافة نهضة إسلامية شاملة أو عندما نشرع في معالجة مشكلة تثقيف العالم الإسلامي تثقيفا يجمع بين أصالة الفكرة الإسلامية وبين فاعليتها أو تثقيفا يتيح للفكرة الإسلامية أن تحكم سلوكه وأسلوب حياته[43]. *la nécessité de renouveler le lien avec Dieu , et les nécessités de techniciens de connaissances Comment renouveler , ils sont dans son projet de civilisation des questions les plus importantes qui doivent être faire attention lorsque nous procédons à résoudre le problème de la réalisation d'une culture de la renaissance islamique globale ou nous commençons à aborder le problème de l'éducation du monde musulman instruit combine l'originalité de l'idée et de l'efficacité des islamique ou instructif permet à l'idée que le contrôle islamique de son comportement et son mode de vie* ولن تستعيد الفكرة الإسلامية فاعليتها ودورها الإيجابي في الحياة الاجتماعية: إسلامية أو غير إسلامية، ما لم يكن الهدف من تحقيق الثقافة والتثقيف، هو التخلص من كل العوامل الفكرية والنفسية التي ساعدت وتساعد باستمرار على نموّ روح التكديس المعنوي والمادي في عالمنا الإسلامي، إذ ليس المطلوب لكي نغيّر الإنسان المسلم ونغيّر محيطه الثقافي الاجتماعي أن نفتح قناة أو إذاعة أو نعقد ندوة أو مؤتمرا أو ننشئ مجلة عن فضائل الإسلام وعن صلاحيته للتطبيق[44] ونكتفي بذلك، بل المطلوبُ هو أن نفكر ونعمل في آن واحد على تحويل ما قلناه عن الإسلام إلى خطط مشاريع أو برامج عمل، وإلى حوافز نفسية وتوجيهات فكرية، من أجل ترجمة مبادئه وقيمه وتعاليمه إلى وقائع وأحداث اجتماعية كما ترجمها الجيل الذي تربّى في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم وفي مدرسة خلفائه الراشدين رضي الله عنهم أجمعين[45]. فليست مشكلة الإنسان المسلم في الظروف الراهنة في الجهل بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا، فهو إن لم يكن يعرف عنه الكثير، فهو يعرف عنه القليل، وهو إن لم يكن في ورعه وتقواه كأبي حامد الغزالي وأبي القاسم الجُنيد فهو في كل الأحوال إنسان مسلم[46]، وإنّما مشكلته الجوهرية هي أنه «لا يعرف البتة كيف يستعمل عقيدته [الإسلامية] باعتبارها أداة

[43] أنظر مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، موضوع: أصالة الأفكار وفعاليتها، ص 102-110.

[44] أنظر مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية...، موضوع: العالم الإسلامي وفكرة الأفرسيوية، ص 219-248.

[45] أنظر زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، عام 1980م، موضوع: طريقنا إلى إحياء الدين، ص 239-242.

[46] أنظر مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 48.

Le problème fondamental est que « ne sait pas du tout comment utiliser اجتماعية[47]». sa foi [islamique] comme un outil social ».

ولذلك فإن التفكير في كيف يتعلّم الإنسان المسلم؟ وما ذا يتعلّم؟ وبأي أسلوب يتعلّم فنّيات استخدام عقيدته وترابه ووقته وفكره وجهده وسائر ما يقع تحت تصرّفه؟ فالتفكير في هذا يعتبر بداية تغيير جذري للعوامل النفسية والفكرية التي تحول بينه وبين استعمال عقيدته وهو يتحرّك في ميادين الحياة نحو الأهداف الدنيوية الأخروية التي لم يعرف بعد كيف يجمع بينها. *Par conséquent, la réflexion sur la façon d'apprendre un musulman ? L'apprendre quoi ? Et une méthode pour apprendre les techniques à utiliser la foi et de la terre, du temps et de la pensée et de l'effort et le reste de ce qui est à sa disposition ? Penser que c'est le début d'un changement radical des facteurs intellectuels et psychologiques qui transforment entre lui et utilisent sa foi comme il se déplace dans les domaines de la vie vers les objectifs eschatologiques du monde qui n'est pas encore connu de les réunir.*

قائمة المصادر والمراجع

[1] زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، عام 1980م، موضوع: طريقنا إلى إحياء الدين.

[2] عبد الكريم بكّار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة.

[3] عزّت علي بيجوفيتش، مقدمة الكتاب (الإعلان الإسلامي).

[4] علي عزّت بيجوفيتش، الإعلان الإسلامي.

[5] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه.

[6] مالك بن نبي، تأملات.

[7] مالك بن نبي، شروط النهضة.

[8] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، موضوع: القيمة الاجتماعية لأفكار القرآن.

[9] مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية.

[10] مالك بن نبي، فكرة كمنويلث الإسلامي، ترجمة: الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1960، موضوع: مشروع دراسة مكتملة.

[11] مالك بن نبي، القضايا الكبرى.

[12] مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد.

[47] مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ص 71.

[13] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة.

[14] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع.

[15] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي.

[16] مدخل إلى التنمية المتكاملة، رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1999.

[17] محمد سعيد رمضان البوطي، باطن الإثم الخطر الأكبر في حياة المسلمين، دار البعث، الجزائر، قسنطينة، طبعة 1987.

[18] نور الدين مسعودان، مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع.